

# الانتحارية التي غيرت حياتي

الممثلة والمخرجة العراقية اللبنانية زهراء غندور: لم أكن أفكر في التمثيل إلى أن التقيت سارة



أنا مخرجة أفلام أصلا واستغرقني التفكير سنتين حتى أتحوّل إلى ممثلة

وإلى مشاهدة العشرات من الأشرطة التي يتحدث فيها الممثلون الكبار عن تجاربهم، أفدت من جميعها، لكنني، ككل الآخرين، حاولت نحت طريقي الخاصة. وقد قادتني عملية البحث في التجارب التمثيلية إلى اكتشاف طريقة قسطنطين ستانيسلافسكي حول كيفية وطرائق مُعايشة الحالة التي تجتازها وتعيشها الشخصية، أهداني صديق لبناني كتابه "إعداد الممثل"، واعتبرته من بين أئمن الهدايا التي حصلت عليها حتى الآن. هذا الصديق يُعَلِّم التمثيل، لكنني لم أكن طالبة لديه، فقال لي "أقرئي هذا الكتاب وستتعلمين منه الكثير"، وكان على حق مئة في المئة.



**بإمكان الممثلين الذين يحركون وجوههم كثيرا، إيصال ما يريدون دون الحاجة إلى الإسفاف والإفراط في تلك الحركات**

وتؤكد زهراء غندور بأنّها لم تقتصر على حبّ شخصية سارة، بل أيضا بالوشوق بها للرجال برفقتها، وهو ما جعلها تنقّب بالعمل أكثر فأكتر، وتقول "تجسّدت هذه الثقة في الإصرار على إنجاز بحثي الخاص عن سارة والذي طال كثيرا، ومرة قلت للمخرج بأنّ "الناس سيرون وجهي على الشاشة وسيذكرون هذا الوجه، وأنا أخذت الأمر بجديّة عالية ولا أرغب في أن يُشكك أحد بمقدار الجدية التي أتعامل بها مع هذه الشخصية".

تنشر الصفحات 10 و12 بالاتفاق مع مجلة «الجدید» اللندنية والنصوص كاملة على الموقع الإلكتروني

بان شخصية سارة "كانت تحتاج إلى الإختزال شبه الكامل لحركات وإيماءات الوجه، وهذا ما اتعيني أكثر من غيره. كثير من الممثلين يجزمون بعد فترة قصيرة عن الإشتغال في هذا الإطار، لكنني واثقة بأن من يمتلك العزم في بلوغ ناصية الشخصية، فإنه سيبلغها بالتأكيد". وتأكيدا لما تقوله زهراء غندور، فإن هناك اختزالا كبيرا لإيماءات وحركات سارة بشكل عام، فهناك ثبات في النظرة، وثمة شبه ميكانيكية، مقصودة بالطبع، في الحركة، وما الحركة بمجملها إلا أفعال يسعى إلى بلوغ هدف مُحدّد، وأن تبلغ ذلك الهدف في اللحظة التي قرّرت هي تحقّقه".

## مدينة لوالدي

لم تكن زهراء غندور ممثلة محترفة ولم تدرس هذا الفن، لكن من يستمع إليها وهي تتحدث عن الأداء التمثيلي يُستفاد فضولا لمقدار ما تملكه من معرفة لفن التمثيل ولفضائته، فمن أين أتت هذا المعرفة الدقيقة بتفاصيل التمثيل، لاسيما وأنها لم تعمل في الماضي إلا في إطار الوثائقي؟

"اعتقدت بأنّ المشاهدة هي عامل أساسي لأي شخص يحاول اكتشاف عمل الممثلين"، تقول زهراء غندور "وأنا غادرت عالم الكارتون وابتدأت بمشاهدة الأفلام الروائية في عمر تسع سنوات، وأتذكر جيّدا أين كنتُ تسكن في بغداد وكل ما شاهدت من أفلام روائية، واعتقدت بان والدي، واهتمامها الهائل بمشاهدة الأفلام الروائية، كانت حافزا هاما. أتذكر أنها كانت تُصنّف الممثلين عبر أدائهم وتمنحهم درجات، من الدرجة الأولى، وصولا إلى الدرجة العاشرة، وهي الدرجة التي كانت تعني بان الفيلم سيء بدرجة كبيرة ولا ينبغي لنا أن نشاهده، وكما ترى كان لديها تقدير واعتبار عاليتين لعمل الممثل وأدائه في الفيلم".

كانت والدة زهراء غندور تستحث أبنائها على مشاهدة حتى الأفلام غير المروّج لها وغير المشهورة، فقط لأنّ أداء الممثل فيه كان مُميّزا، وبذلك تحوّلت بالنسبة لزهراء، دون تخطيط مسبق أو مستقبلي، إلى ما يُشبهه "الكوتش" -مُعَلِّم الأداء التمثيلي"، وتقول "هذه كانت تجربتي الأولى مع الممثلين، عبر المشاهدة المنتقاة والمرشحة من والدي، بعدها جاءت مرحلة البحث، وكووني أشتغل في مجال الوثائقيات، فانا أحب البحث، فتحوّلت شخصية سارة بالنسبة لي إلى مشروع بحث هائل، وهو ما دفعني إلى الاطلاع على تجارب أخرى

والثير في الأمر أن البحث العميق الذي أجرته زهراء غندور على شخصية سارة قادها إلى اختزال هائل لكل ما هو زائد في تفاصيل الإيماءة والحركة، ذلك "الاختزال" الذي ذكرني بالمخرج المسرحي العراقي الراحل عوني كزومي الذي كان يبني شخصياته خالية من أي فائض في الحركة والإيماءة، وأقول ذلك من خلال معرفة مباشرة وعمل مشترك معه في عدة مسرحيات في النصف الثاني من سبعينات القرن الماضي.

## سنتان من البحث

ولدى سؤالها عن الزمن الذي صرفته في بناء شخصية إيصاها إلى ما وصلت إليه، تقول زهراء غندور "امتد العمل على تحضير شخصية سارة لوقت طويل، وبالذات من جانبي، عبر البحث سواء في العالم الخارجي، الذي يُحيط بها، وفي البحث في داخلي أيضا، أنا زهراء غندور. وقد أعانني ذلك على فهم عالمها، إلا أن هذا كله، رغم أهميته، لم يكن من الجوهرية بمقدار ضرورة فهم تكوين شخصية سارة، لتعود على الخيطين الرفيعين: خط الطبيعة الإنسانية في داخلها، وخط البشر الموازي لتلك الطبيعة الإنسانية".

وتُضيف "لم أكن أرغب في أن تظهر سارة شخصية جامدة بشكل كبير، وسعيت إلى أن أظهر في نظراتها خطا من الإنسانية، التي تتزاح في حالات لُحظي المجال للشعر القادم"، وتصف زهراء غندور الإشتغال على شخصية سارة بـ"التحدّي الأكبر بالنسبة لي".

ولضرورة العامل الجسدي الذي اشتغلت عليه زهراء غندور في تشكيل شخصية سارة، فقد استدعى ذلك منها، كما يفعل كبار الممثلين المحترفين، عملية طويلة تطلبت تدريبات قامت بها بنفسها، وتقول "غيّرت جسمي وطريقة حياتي، لما يريو على سنتين، لإتقان من الإقتراب من الشخصية، وقد أتّى كل ذلك على، وعلى الطريقة التي أفكر وأحسّ فيها، ومع مرور الوقت، صار جزء كبير منّي هو "سارة"؛ ربّما كان ذلك في غاية الأهمية للفيلم، إلا أنه كان مُنهكا بالنسبة لي، كزهراء، التي هي إنسانة، قبل أن تكون ممثلة".

واستعانت زهراء في اشتغالها على الشخصية بخزين مشاهداتها وقراءاتها ورأيها بأداء الممثلين، وتقول "كمشاهدة، لم أحنّ أبدا الممثلين الذين يُفردون في تحريك ملامحهم وجوههم كثيرا، وأقول دائما إن بإمكان الممثلين الذين يُحركون وجوههم كثيرا، إيصال ما يريدون دون الحاجة إلى الإسفاف والإفراط في تلك الحركات". وتؤكد زهراء غندور رأيها

عالم أعمق بكثير ممّا كانت تتصوّره من قبل، وذلك لما يَحْتَرِّنه من صدق أصيل لا علاقة له بمفردة التمثيل، التي تعني في صلبها "التفريق" الذي لا غنى عنه لتلبس الشخصيات، وتقول "في التمثيل كمّ هائل من الصدق، إضافة إلى تمكيتك من بذل جهود هائلة لبلوغ ناصية الشخصية"، التي ينبغي أن تُقنع المشاهدين، بصرف النظر عن انتماءاتهم وثقافتهم وسني أعمارهم، لذا صار الأمر بالنسبة لي، شغفا وتحديا مع ذاتي لحثرت وزراعة أرض كنت أجهل مقدار قساوة ترابها، ومقدار سخاؤها في منح الثمر الوفير، إذا ما حرّثت، وبذرت وسقيت، بشكل صحيح وصادق".

## تمثل سارة

تكمّن خاصيّة أداء زهراء غندور لشخصية سارة في أنّ ذلك الأداء ينطلق من أعماق الممثلة ويرتسم فعلا وإيماءات في ملامحها، وقد تحقّق لها هذا الأمر عبر اشتغالها على الشخصية والبحث في مكانها ودواخلها، واشتغالها على الصراعات التي تضطرم في داخل تلك الفتاة المتحرّكة في المساحة الضيقة بين الغضب والموت خلال تلك الساعات التي تقضيها في "المحطة العامّة" للقطارات في بغداد، وهي تحمل في حضنها وليدها الصغير، وحول خصرها تحمل الحزام الناسف، أي أنّ سارة تحمل، في اللحظة ذاتها، الحياة والموت معا، وذلك بغلبة حاسمة للموت، الذي سيفضي ليس على الآخرين فحسب، بل عليها هي، وعلى الوليد الذي تحمله في حضنها؛



انفعالات عميقة في مشهد من فيلم «الرحلة»

عرفان رشيد  
كاتب عراقي



## فلورنسا - فاجات الممثلة العراقية

زهراء غندور جميع من شاهدوا أداءها الرائع في فيلم "الرحلة" للمخرج العراقي محمّد الدراجي، الذي أدت فيه دور "سارة"، الشابة الانتحارية التي دخلت المحطة العامّة للقطارات في بغداد بهدف تفجير نفسها.

لم تكن المفاجأة تلك وليدة مجيء هذه الممثلة من وراء كاميرا الأفلام والبرامج الوثائقية، بل للكثافة الهائلة التي حققتها للشخصية التي أدتها، والتي دخلت منذ الوهلة الأولى إلى ذهن المشاهدين ونالت إعجاب لجان التحكيم والنقاد، بحيث صار أمر "جائزة أفضل ممثلة"، محسوما لها منذ اللحظة الأولى لعرض الفيلم، وحتى قبل انتهاء المهرجان أو الظاهرة السينمائية التي عُرض فيها فيلم "الرحلة". ومنذ اللحظة الأولى من حضورها على الشاشة قبل بضعة سنين، سطع ضياء نجمة مُقدّرة ورفيعة الحضور، سيكون لها شأن هام في الأداء التمثيلي.

صاغ المخرج العراقي محمّد الدراجي فيلمه "الرحلة" على مقاس زهراء غندور، بعد أن اكتشفها عبر التقارير والوثائقيات الصحافيّة التلفزيونيّة التي تُعدّها للقصوات التلفزيونيّة، وأدرك استحالة قيام "الرحلة" دون هذه المسافرة التي تحمل في ناظريها المئات من التلاوين والتنويعات من المسافة العراقيّة، والقدرة على إثارة المئات من الانفعالات

لدى مشاهد الفيلم، وينبغي الاعتراف لمحمّد الدراجي قدرتيه الأساسيتين: في بناء صورة مشهده الفيلمي؛ وفي اختياره لمثله، بالضبط كما فعل لدى اختياره في عام 2010 للثنائي بشير الماجد والسيدة شازادا حسين، التي أدت دور "دايكي إبراهيم - أم إبراهيم" في فيلم "إبن بابل". وعلى الرغم من براعة زميلها في الفيلم، الممثل الشاب أمير الدراجي وخفة حضوره في المشهد، فقد أدرك محمّد الدراجي، أن "لا فيلم دون زهراء غندور"، وهكذا جاءت النجاحات التي حققتها زهراء وحققها الفيلم في العديد من المهرجانات.

## فضول إنساني

تقول زهراء غندور، في اللقاء الذي أجرته معها في مدينة مالو السويدية، "لم تكن فكرة الوقوف أمام الكاميرا كممثلة قد خطرت ببالي إطلاقا، ولم أكن معنيّة، لا من قريب أو من بعيد، بفكرة الإشتراك في فيلم روائي، بدأت الفكرة بمفاجأة أو بصدفة، وكان الجواب الأول على طلب المخرج "لا حاسمة. لكن بعد السماع عن شخصية "سارة" التي عُرضت على، اكتشفت أنها من القوة التي جعلتني أتوقف للتفكير بشأن الانتقالة الهامة في حياتي المهنيّة، بالذات لأنني لم أملك حتى تلك اللحظة أي دافع لقبول عرض محمّد الدراجي، إلا أن "سارة" -الفتاة الأم الانتحارية) في الفيلم- حرّكت في فضولا كبيرا، ما دفعني إلى السعي لاكتشافها". بعد خوض تلك التجربة تكتشف زهراء غندور بان التمثيل عبارة عن